دلالات الهيئة الجسمية في القرآن الكريم

أ. طـراد علـي
أ.د. مـالكية بلقاسـم
المدرسة العليا للأساتذة ورقلة

ملخص اللغة العربية:

يتواصل الإنسان مع محيطه بأشكال شتى منها اللغة المنطوقة، وكذا الصامتة التي يستعمل فيها مختلف أعضاء جسده. وقد يوظف جسده بأكمله في تبليغ معان بعينها؛ فيَستشفُ الناظرُ إليه مقصـــدَة من خلال هيئات جســمه، وربما قالت هيئته خلاف ما يقول لســانه؛ إذ الهيئات الجسمية تكون إرادية يقصد إليها منتجها وقد تكون عفوية أو غريزية تخبرنا بما لم يقصد هو إخبارنا به بل ربما كشفت لنا ما أراد إخفاءه عنا وقد وظف القرآن هذه الهيئات لبيان أحوال شتى كالدلالة التواضع والكبر، النعيم والشقاء، السرور والحزن...الخ

الكلمات المفتاحية: دلالة، هيئة، لغة الجسد، إرادية، لا إرادية

Résumé

L'être Humain communique avec son environnement de diverses manières, y compris la langue parlée, ainsi que le silence et a commencé à utiliser les différents membres de son corps.

Et il peut employer l'ensemble du corps dans un éclat particulier Rapport, discerné spectateur destination bouillie à travers ses organes du corps, et peut-être le corps

Contrairement à ce qu'il dit à sa langue, en tant que corps physiques sont destinés à être produits involontairement et peut être spontanée ou instinctive nous dire ce qui ne signifie pas pour

Dites-nous peut-être même nous a révélé ce qu'il voulait se cacher de nous a engagé le Coran ces organes pour indiquer les conditions des différentes humilités

Et l'arrogance, le bonheur et la misère, le plaisir et la tristesse... etc .

Mots-clés: Connotation, le corps, le langage du corps, involontairement, involontaire

مقدمة:

تخبرنا هيئة الإنسان عنه بأشياء شتى كحالته الصحية، أو العمرية، أو الحالة النفسية...الخ. وتنقسم الهيئات الصادرة عن جسد الإنسان إلى هيئات إرادية؛ يقصد منها صاحبها تبليغ معان لا يريد قولها بلسانه لسبب ما، وهيئات لا إرادية؛ تصدر عن الجسد كرد فعل طبيعي غريزي. وفي الحالتين نستشف معان متعددة.ومن خلال هذا المقال سنحاول استقراء النص القرآني لبيان مدى حمل الهيئة الجسمية للدلالة عن تلك المعاني سواءً كانت إرادية كهيئة السجود والخشوع، أو غير إرادية كالخوف والحزن وغيرهما.

هيئات إرادية:

يصدر مثل هذا النوع من الهيئات عن الإنسان وهو مدرك له، قاصد من ورائه إلى غاية معينة.

أولا- هيئة الخشوع:

1 - السجود:

أجلى صور الخشوع تكون بالسجود ووضع الجبين على التراب، وهو علامة غاية الانقياد والتعبد. وقد جاء السجود في القران لغرضين:

أ - السجود تعبدا لله:

و فيه يعبر الإنسان بكل جوارحه عن معنى الانقياد، والتسليم، و التعظيم لله رب العالمين. و من أمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:﴿**قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۞ وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** [1]﴾ و من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**[2]﴾ قال أبو حيان: « السجود هو وضع الجبهة على الأرض وهو غاية الخرور و نهاية الخضوع، و أول ما يلقى الأرض حالة السجود الذقن. أو عبر عن الوجوه بالأذقان، كما يعبر عن كل شيء ببعض ما يلاقيه. »[3]و قد بين النبي ﷺ كيفية السجود فعن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: « (أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ــ (أشار بيده على أنفه)، و اليدين، و الركبتين، وأطراف القدمين، و لا نكفتُ الثياب و الشعر).» [4] هذه الكيفية التي يذكرها رسول الله ﷺ تبين الهيئة التي يكون عليها الإنسان، و هي موحية بمعان الخشوع و الانقياد لله، و التصديق بما جاء به أنبيائه ورسله. و يكون هذا السجود مصاحبا للبكاء إتماما لمعنى الخضوع والخشوع « فقد آمن به أهل العلم، وخشعوا له، وخضعوا لتلاوته عليهم خضوعا ظهر أثره البالغ بكونهم يخرون على أذقانهم سجدا لله.»[5]

فالخضوع والخشوع إحساسان داخليان يتجليان في هيئة السجود، لما لهذه الهيئة من دلالة على تمام التسليم، والانقياد والتعظيم.

ب ـ هيئة السجود لغير اللّه تعالى تعظيما

و قد وردت في سورة يوسف في قوله تعالى:﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا** [6]﴾قال ابن كثير: «(**و خروا له سجدا**) أي سجد له أبوه وإخوته الباقون، و كانوا إحدى عشر رجلا (**قال يا أبتي هذا تأويل رؤياي من قبل**) أي التي كان قصها على أبيه من قبل(**إني رأيت أحد عشر كوكبا**) و قد كان هذا سائغا في شرائعهم، إذ سلموا على الكبير يسجدون له. »[7]

كما أن عدم السجود و الامتناع عنه يوحي بالعناد و الضلال. و قد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**[8]﴾ قال أبو حيان: « و زادهم هذا القول أي الأمر بالسجود للرحمن زادهم ضلالا يختص به مع ضلالهم السابق، و كان حقه أن يكون باعثا على فعل السجود و القبول »[9]فالقيام بالحركة يحيل إلى معنى معين، كما أن الامتناع عنها يحيل إلى ضده. فالسجود علامة الخضوع والانقياد والامتناع عنه علامة الكفر و الجحود و الضلال. فهؤلاء المشركون يتلى عليهم القرآن، و يؤمرون بالسجود للّه فيمتنعون كبراً و كفراً. قال سيد قطب: « يقابلون الدعوة إلى عبادة الرحمن باستخفاف و استنكار (و إذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا: و ما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ و زادهم نفورا) و هي صورة كريهة من صور الا ستهزاء و التطاول.»[10] من الآيات التي ورد فيها هيئات جسمية دالة على الطاعة للّه والانقياد له قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾[11] قال سيد قطب: « و هي صورة مشرقة مرهفة فالقنوت و الطاعة و التوجه ـ وهو ساجد وقائم ـ و هذه الحساسية المرهفة ـ و هو يحذر الآخرة و يرجوا رحمة ربه ـ، و هذا الصفاء و هذه الشفافية التي تفتح البصيرة و تمنح القلب نعمة الرؤية و الالتقاط والتلقي. »[12]

و من صور الخشوع و الانقياد و الرهبة من وعيد اللّه، و الرغبة في ما أعد للمؤمنين تتراءى لنا صورة المسلم، و هو بين سجود و ركوع و قيام، و هذه الهيئات الجسمية إنما هي علامات التعبد والاتصال باللّه. فرؤية الساجد الراكع القائم تحيل إلى أن هذا الشخص إنما يتعبد للّه بصلاة مكتوبة أو نافلة.

و لا تقتصر صورة الخشوع و الخضوع للّه على هيئات السجود و الركوع فحسب، بل هناك صور أخرى و هيئات يأتيها المؤمنون عند سماع كلام اللّه، فيعتريهم الخشوع، و من تلك الصور:

2 ـ هيئة القشعريرة:

في قوله تعالى:﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن**

﴿يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ[13]﴾ قال الشوكاني: « تقشعر منه جلود الذين آمنوا [...] و الاقشعرار التقبض. يقال: اقشعر جلده إذا تقبض و تجمع من الخوف. والمعنى أنهم تأخذهم قشعريرة. قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله »[14] قال سيد قطب: « الذين يخشون ربهم و يتقونه، و يعيشون في حذر وخشية، و في تطلع و رجاء، يتلقون هذا الذكر في وجل وارتعاش وفي تأثر شديد تقشعر منه الجلود، ثم تهدأ نفوسهم، و تأنس قلوبهم بهذا الذكر فتلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله [...] و هي صورة حية حساسة ترسمها الكلمات، فتكاد تشخص فيها الحركات.»[15]

من المعلوم أن الحالة النفسية تظهر على وجه الإنسان، بل ربما عمت و بدت على جميع أجزاء جسمه، فالخوف والرهبة اللذان يصاحبان تلاوة القرآن، أو سماعه مع تدبره المفضي إلى التفاعل معه، يظهران على بدن الإنسان، فينقبض جلده و يقشعر إذا تلى آية عذاب ـ مشفقا من عذاب الله. و هذه الهيئة الجسمية قد ترى على الإنسان في مواطن الخوف الشديد، إذا واجه خطرا وشيكا، أو داهمه على حين غرة.

ثانيا ـ هيئة اللهو:

قال ابن منظور: « اللهو ما لهوت به و لعبت و شغلك من هوى و طرب [...] و اللهو اللعب بالكسر، ألهي بالفتح لهيا، و لهيانا إذا سلوت عنه، و تركت ذكر الله، و إذا غفلت عنه وتشاغلت.»[16]

إن اللهو و التشاغل يأخذان أشكالا عدة، و قد جاء ذمهما في القرآن من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۞ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ [17]﴾

قال الشوكاني: « وقال ابن الأعرابي: السمود اللهو، والسامد اللاهي. يقال للقينة أسمدينا أي: ألهينا بالغناء »[18]

إن من بين أساليب رد الحديث، وعدم التصديق به: تجاهله واللهو والتشاغل عنه حتى كأنه لم يُقَل، ويتبين ذلك من حال المتلقي. إذ المهتم للأمر يقبل عليه، ويفتح سمعه وقلبه، أما المنكر المكذب، فيلجأ إلى التشاغل واللهو وعدم الاهتمام. وهكذا كان حال المشركين. فقد أخبرنا الله عنهم بأنهم كانوا مكذبين، لاهين متشاغلين بغناء القينات عن سماع القرآن.

ثالثا ـ هيئة التواضع وخفض الجناح:

إن التواضع خلق محبوب مرغوب، والمتواضع يسمو في عيون الناس على عكس المتعالي الذي يبغضه الناس، ولا يعطونه قيمة. وقد جاء معنى التواضع في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُم وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِم وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِين[19]﴾ قال الشوكاني: « و خفض الجناح كناية عن التواضع، و لين الجانب. و منه قوله سبحانه و تعالى: **(و اخفض لهما جناح الذل)*** و قول الكميت**:

خفضت لهم مني جناح مود إلى كنف عطفاه أهل و مرحب

و أ صله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نف سه ب سط جناحه، ثم قب ضه على الفرخ، فجعل ذلك و صفا لتوا ضع الإن سان لأتباعه. و يقال فلان خافض الجناح: أي وقور ساكن، و الجناحان من ابن آدم جانباه »[20]

إن القائد أو الأستاذ أو المعلم أو أي شخص في موضع المسؤولية، يتحتم عليه بناء علاقات حميمية مع و سطه، ولا يتأتى له ذلك إلا بالتوا ضع معهم، و معاملتهم برفق يجذب قلوبهم إليه؛ لأن الإنسان بطبعه ينفر من الغلظة و الشدة. وكان الرسول ﷺ مثل في ذلك قال تعالى في حقه: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[21] و قد يكون الحنو بأن يضع الإنسان يده على كتف صاحبه، أو يضمه إليه تعبيرا على قربه منه و مكانته عنده، مما يخلق الألفة بينهم.

رابعا ـ هيئة التكبر:

وقد جاءت هذه الهيئة الذميمة على عدة صـور في القرآن الكريم: فقد يدل عليها حركة جسـمية كالصـد بالوجه مثلا، أو تشـي بها هيئة الجسـم ككل. و من أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**[22]﴾ « و الإنسـان حينما يخلو قلبه من الشـعور بالخالق القاهر فوق عباده، تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء، أو سـلطان، أو قوة، أو جمال. و لو تذكر أن ما به من نعمه فمن اللّه، و أنه أضـعف أمام حول اللّه ؛ لطامن من كبريائه، وخفف من خيلائه، ومشى على الأرض هونا لا تيها و لا مرحا.»[23]

فالمتكبر يعبر بمشـيته المغرورة عن اعتداده بنفسـه. و هيئات المشـي كثيرا ما تشـي بالحالة النفسية لصاحبها، فاتخاذ الجسم شكلا معينا، و تحركه بطريقة معينة، يكشف ما يخالج نفس صاحبه من: شعور بالكبر و الخيلاء، أو التبتل والتواضع، فلكل حالة من هذه الحالات مشية تحيل إليها.

و قد يعبر عن الكبر بهيئة جسـمية أخرى مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا**[24]﴾

فقد ينعم اللّه على الإنسـان، فيغتر بما حصـل له من نعمة، فيعرض عن ذكر اللّه « و إذا أنعمنا على الإن سان بال صحة، و ال سعة أعرض عن ذكر اللّه، كأنه م ستغن عنه م ستبد بنف سه، ونأى بجانبيه تأكيدا للإعراض ؛ لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه. و النأي بالجانب: أن يلوى عنه عنقه ويوليه ظهره، و أراد الاسـتكبار لأن ذلك من عادة المتكبرين.»[25]فقد جاءت صـورة المسـتكبر عن عبادة ربه تجسـد معنى الكبر و الغرور في حركة جسـدية تمثلت في: الإعراض بالوجه، ولي العطف، والاسـتدارة بالظهر إمعانا في الاسـتكبار، و غرورا بما أنعم اللّه عليه من نعم.

خامسا ـ هيئة الوقوف

1 ـ دلالة على الثبات:

أن يقف الإنسان فهذا من طبعه و عادته، لكن الوقوف قد يكون تسجيلا لموقف يتخذه الإنسان، فيسجل من خلاله موقفه في جلسة معينة، كأن يكون وقوفه احتجاجا، أو علامة على نهاية الجلسة، أو إبداء رأي ثم عضده بالوقوف ؛ ليدرك مخاطبه بأنه ثابت على هذا الموقف لا يحيد عنه. و من هذا الضرب الأخير قوله تعالى:﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** [26]﴾ قال الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: « و القيام يحتمل أن يكون حقيقيا، بأن وقفوا بين يدي ملك الروم المشرك، أو وقفوا في مجامع قومهم خطباء معلنين فساد عقيدة الشرك. و يحتمل أن يكون القيام مستعارا للإقدام و الجسر على عمل عظيم، و الاهتمام بالعمل، أو القول تشبيها للاهتمام بقيام الشخص من قعود للإقبال على عمل ما.»[27]

إن وقوف هؤلاء الفتية سواء كان بين يدي ملك الروم، أو في مجامع قومهم هو دلالة على الثبات على دين الحق والجهر به دون جبن أو خور. و هيئة القيام دلالة على هذا الثبات، إذ المهزوم أو الخائف يخشى المواجهة، و يؤثر المداهنة و الاستكانة.

2 ـ الدالة على معاينة أمر عظيم:

قد يقف الإنسان مذهولا أمام أمر جلل، أو مصير لا مناص منه، فيكون وقوفه علامة على ذهوله قال تعالى:﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**[28]﴾ قال الزمخشري:« لو ترى لرأيت أمرا شنيعا ؛ وقفوا على النار أروها حتى يعاينوها، أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم، أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها.»[29]

فقد أوقف اللّه الكفار على شفير جهنم ؛ ليروا عظيم ما أعد لهم من عذاب. و يوقف الإنسان على حقيقة ربما كان يُكذب بها، فإذا وقف أمامها، و عاينها زال كل شكه و ثبت الأمر بعين اليقين.

3 ـ الدالة على الانتظار:

قد يهتم الإنسان لأمر ما يوشك أن يحدث، فتراه قائما ينتظره لا يطيق الجلوس ؛ لرغبته في حصوله، أو لرهبته منه. و قد يفرض الموقف عليه هذا القيام كحال الخلق يوم القيامة يقفون في المحشر، ينتظرون ما يفعل بهم. قال تعالى:﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ قال الشوكاني: « (فإذا هم قيام ينظرون) يعني الخلق كلهم قيام على أرجلهم، ينظرون ما يقال لهم.» [30]

فهيئة قيام الخلق في الآية موحية بانتظار المصير، فكل واحد ينتظر إلى أين يساق أإلى الجنة، أم إلى النار.

سادسا ـ دلالات هيئة القعود:

« القعود نقيض القيام، قعد يقعد قعودا و مقعدا أي جلس.»[31] و هي هيئة جسمية يتخذها الإنسان لأغراض متعددة منها: الاستراحة من التعب، أو التعبير عن رفض الذهاب إلى مكان ما ـ إن قرر مرافقوه الذهاب ـــ مثلا، أو غير ذلك من الدلالات. و قد وردت في القرآن الكريم بدلالات أهمها:

1 ـ الدلالة على مداومة الذكر:

فالمؤمن ذاكر لله على كل حال، قائما، أو قاعدا، أو على جنبه. قال تعالى:﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**[32]﴾ قال أبو حيان: « الظاهر أن الذكر باللسان مع حضور القلب، و أنه التحميد و التهليل والتكبير، و نحو ذلك من الأذكار. فهذه الهيئات الثلاثة هي غالب ما يكون عليه المرء، فاستعملت والمراد بها جميع الأحوال.»[33] فالقعود هيئة جسمية يتخذها المؤمن مثل حالي الوقوف و الاضطجاع، فيذكر الله، فلا يخص الذكر حالة دون حالة.

2 ـ الدلالة على الكذب والنفاق:

إن القعود هو الجلوس في مكان غرضه عادة الاستراحة، أو الفراغ من الشغل. و قد يأتي القعود للتعبير عن رأي معين: كأن يقوم الناس تعظيما لشخص، و يقعد بعضهم إشارة إلى مخالفتهم رأي الآخرين. كما قد يأتي القعود كناية عن التكذيب و عدم التصديق كما جاء في قصة الأعراب الذين لم يذهبوا مع النبي للجهاد، فأقبل فريق منهم يعتذر وامتنع آخرون تكذيبا للنبي قال تعالى:﴿**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**[34]﴾ قال سيد قطب: « فأما الأولون فهم ذووا الأعذار الحقيقية، فلهم عذر إن استأذنوا في التخلف، و أما الآخرون فقعدوا بلا عذر. قعدوا كاذبين على الله و رسوله، و هؤلاء ينتظر الذين كفروا منهم عذاب أليم»[35] فالقعود هنا ليس الهيئة الجسمية المعروفة، و إنما جاء كناية عن التخلف وترك الجهاد، لأن الذي لا يرغب في الذهاب إلى مكان يقعد إذا قام الناس تعبيرا عن عدم الرغبة.

3 ـ الدلالة على التزام المكان جبنا و خورا:

قد يكون القعود جبنا و خورا، كأن يعزم الناس الذهاب إلى مكان به خطر محقق فترى الخائف يلزم مكانه، و إن كان واقفا جلس لشدة ما يمتلكه من الخوف و الهلع. و قد حكى الله قصة بني إسرائيل عندما أمرهم موسى بالدخول إلى الأرض المقدسة، و كان فيها قوما جبارين قالوا:﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**[36]﴾ قال الشوكاني:« (إنا ها هنا قاعدون) أي لا نبرح ها هنا لا نتقدم معك و لا نتأخر عن هذا الموضع.»[37] قال أبو حيان: «(إنا ها هنا قاعدون) هذا دليل على أنهم خارت طباعهم، فلم يقدروا على النهوض معه للقتال، و لا على الرجوع من حيث جاؤوا.»[38]

4 ـ الدلالة على الرضا و عدم الاعتراض:

قد يكون الجلوس مع القوم دلالة على موافقتهم أرائهم ؛ لأن المعترض إما أن يعلن أو ينسحب. و في هذا الشأن يقول الله تبارك و تعالى:﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ** [39]﴾ فالمؤمن الحق لا يرضى أن يستهزأ بكتاب الله، فإن غُلب على أمره ترك المجلس. قال سيد قطب: « و أولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها [...] فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدافع وإما أن يقاطع المجلس و أهله. فأما التغاضي و السكون فهو أول رمراحل الهزيمة، وهو المعبر بين الإيمان و الكفر على قنطرة النفاق.» [40]

إن الجلوس مع المشركين و المنافقين هو علامة على الرضا بصنعهم ؛ لأن المجالسة إنما تحصل بين الأخلاء والأصدقاء، و جلوس الشخص مع الشخص إنما يدل على المؤانسة و التوافق في الطباع، و الشخص يجالس القوم فإن رضي بما يقولون قعد معهم، و إن كره مقالتهم اعترض وانصرف.

فالقعود هيئة جسمية يعبر بها الإنسان عن عدة دلالات كما أسلفنا منها: مداومة الذكر على أي حال، والقعود تكذيبا و نفاقا إذا انصرف الناس إلى أبواب الخير من جهاد و غيرها، و القعود جبنا وخورا إذا التقى الجمعان، و اصطكت السيوف التزم الجبان الأرض لا يبرحها، و الدلالة على الرضا بموضوع الجلسة، فالمرء يقعد حيثما ارتاح نفسيا، فقعوده رضا، و مغادرته سخط. و قد ورد معنى القعود في عدة مواضع أخرى من القرآن *

سابعا ـ دلالات هيئات الاضطجاع:

قال ابن منظور: « أصل بناء الفعل من الاضطجاع، ضجع يضجع ضجعا، و ضجوعا فهو ضاجع [...] و اضطجع نام. و قيل استلقى و وضع جنبه بالأرض. » [41]

يضطجع الإنسان إذا أراد النوم، أو أنهكه التعب ليأخذ قسطا من الراحة، أو لمرض ألم به فألزمه الفراش. و رؤية المضطجع تومئ إلى أنه يريد أن ينام ويرتاح من تعب. و قد جاء في القرآن الكريم معنى الاستلقاء و وضع الجنب على الفراش بمعان منها:

1 ـ الدلالة على مداومة الذكر

كما أسلفنا في هيئة القعود، فالمسلم يذكر ربه على كل حال، سواء كان قائما أو قاعدا أو على جنب. كما أن الإنسان يدعوا ربه على ذات هيئات الذكر﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا** [42]﴾ و قد جاء الاضطجاع (لجنبه) مقدما في هذه الآية لارتباطه بالضر، و غالبا ما يُلزم الإنسانَ الضُر الفراش قال الشوكاني: « و يجوز أن يراد أن يدعو الله حال كونه مضجعا، غير قادر على القعود، وقاعدا غير قادر على القيام.»[43]

2 ـ الدلالة على التنعم والاطمئنان

ويكون هذا النوع من الاضطجاع دليلا على عظيم الراحة، وصفاء العيش الذي لا يخالطه كدر. وهو بالطبع لا يكون إلا في جنة النعيم. قال الله تعالى:﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أساوِرَمِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً**[44]﴾ قال الشوكاني: « قال الزجاج: الأرائك: جمع أريكة وهي السرر الحجال، وقيل هي أسرة من ذهب، مكللة بالدر والياقوت. وأصل اتكأ اوتكأ ، وأصل متكئين موتكئين، والاتكاء التحامل على الشيء.»[45]

إن الأوصاف السالفة الذكر لموضع اتكاء المؤمنين، توحي بمدى تنعمهم وراحتهم واطمئنانهم على تلك السرر، وما الاتكاء إلا دليل ذلك*

و على كل حال فالاضطجاع هيئة جسمية يتخذها الإنسان، وتكون دالة على إرادة النوم ـ وهو ألزم المعاني باللفظ ـــ وتكون دالة على التعب و إرادة أخذ قسط من الراحة، و تكون دالة على المرض الملزم للفراش.

ثامنا ـ دلالة اللباس و الزينة:

إن الغاية الأولى للباس هي ستر العورة؛ لأن الإنسان مجبول على ذلك. قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** [46]﴾وقد لاحظ الإنسان أن أنواعا من اللباس قد تزيد من أناقته، وظهوره بالمظهر المحبب لدى غيره. فاللباس يعد مؤشرا قويا على شخصية الإنسان، و مستواه الاجتماعي، و مهنته أو حرفته، و مدى انضباطه أو تسيبه، و غير ذلك من الدلالات. و قد عد المولى تبارك و تعالى حسن اللباس و الزينة من أنواع الثواب الذي أعده الله للمؤمنين في الجنة. قال جل من قائل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**[47]﴾« قال الزجاج: أساور جمع أسورة، و أسورة جمع سوار و هي زينة تلبس في اليد و هي من زينة الملوك [...] قال الكسائي: السندس الرقيق واحده سندسة، و الإستبرق ما ثخن، و كذا قال المفسرون. و قيل الإستبرق هو الديباج كما قال الشاعر:

و إستبرق الديباج طورا لباسها وقيل هو المنسوج بالذهب »[48]

إن اللباس الحسن، والزينة الفاخرة دليل على النعيم و رغد العيش. فهؤلاء المؤمنون قد ألبسهم الله كل أنواع الزينة ثوابا لهم. فالزينة و المنظر الحسن ها هنا دلت على حسن العمل في الدنيا، و حسن العاقبة في الآخرة.

و قد أمر الله تبارك و تعالى المؤمنين بأخذ الزينة، و التطيب عند خروجهم إلى المساجد فقال:﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**[49]﴾ قال الزمخشري:« و السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة [...] زينة الله كل الثياب، و كل ما يتحمل به. و الطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب » [50]

إن هيئة الزينة المشـــروعة عند المؤمن هي أمارة صـــلاحه، و نقاء ثوبه و قلبه، و تمتعه بالمشروع منها

و قد تكون الزينة محرمة في مواطن، أو لا يُستَحَبُ إظهارها أمام الناس بالنسبة للنساء ؛ لأن ذلك مما يثير الغرائز، و يشـــيع الفاحشـــة قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْـرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ [51]﴾ قال سـيد قطب: « إن الاسـلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهتاج فيه الشـــهوات كل لحظة، و لا تســـتثار فيه دفعات اللحم و الدم في كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ، و لا يرتوي. والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة و الزينة المتبرجة و الجســـم العاري[...] كلها لا تصـــنع شـــيئا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون»[52]

إن الرسائل التي يرسلها جسم المرأة مثيرة للشهوة، داعية للفاحشة. لذلك أمر اللّه بإخفاء تلك الزينة؛ لكي تنعكس دلالات تلك الرسائل إلى أن هذه المرأة: عفيفة شريفة، لا يُطْمَع فيها. فذلك أدعى إلى صون أخلاق المجتمع.

و قد تكون الزينة المباحة منهي عنها إذا بالغ فيها الإنســـان، أو اتخذها للتكبر و التباهي والاســـتعلاء على خلق اللّه. كما كان من أمر قارون. قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [53]﴾ قال الشوكاني: « و قد ذكر المفسرون في هذه الزينة التي خروج فيها روايات مختلفة. و المراد أنه خرج في زينة انبهر لها من رآها، و لهذا تمنى الناظرون إليه أن يكون لهم مثلها.»[54]

إن هيئة الزينة مرغوبة من الإنســـان، لكن إذا خالطها العجب و الكبر؛ صـــارت مذمومة تدل على نفس مريضة.

تاسعا ـ هيئة التكاسل:

لقد صـــور القرآن الكريم أفعال المنافقين، و ســـجل حركاتهم وســـكناتهم التي تدل على نفاقهم. فقد كانوا يدفعون أنفسهم ــ دفعا مفضوحا ــ إلى فعل الخير و العبادة، فيظهر نفاقهم من خلال ســـلوكهم. قال تعالى واصـــفا قيامهم للصـــلاة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّـلَاةِ قَامُوا كُسَـالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [55]﴾ و قال في آية أخرى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُـولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّـلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَـالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ [56]﴾قال سـيد قطب: فهم لا يقومون إلى الـ صلاة بحرارة الـ شوق إلى لقاء اللّه، والوقوف بين يديه، و الاتـ صال به، والا ستمداد منه إنما هم يقومون يراؤون الناس، و من ثم يقومون كســـالى، كالذي يؤدي عملا ثقيلا، أو يســـخر ســـخرة شاقة.»[57]

يتثاقل الإنسان إذا كان العمل المقبل عليه لا يرجو منه نفعا، و لا يخشى منه ضرا، فيقبل عليه متثاقلا متكاسـلا. وتبدو على الإنسـان هيئة النشـاط و الجد، أو الكسـل و الخمول من خلال

سرعة القيام العمل، والمبادرة إليه. و لأن المنافق لا يرجو ثواب الصلاة، و لا يخاف عقاب تركها ؛ لأنه لا يؤمن بها أصلا، بل يضطر إلى مُرآة الناس، فيقدم عليها مدفوعا بنفاقه خشية افتضاحه ؛ فيكسل و يتثاقل.

هيئات لا إرادية

أولا ـ هيئة المذلة و القهر:

و في هذه الهيأة يكون ظاهر الإنسان يدل على أنه ذليل مقهور، و قد بدت عليه علامات الإذلال ظاهرة للعيان، تستشف من هيئة جسمه. و من أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى ـ واصفا حال الكافرين يوم القيامة وهم يساقون إلى النار ـ:﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَ صُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**[58]﴾ قال سيد قطب: « والذين يستحقون الضلالة بالإعراض عن دلائل الهدي، وآياته لا يعصمهم أحد من عذاب الله (**فلن تجد لهم أولياء من دونه**) ويحشرهم يوم القيامة في صورة مهينة مزعجة (**على وجوههم**) يتكفأون (**عميا وبكما وصما**) مطموسين محرومين من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا.»[59]

إن مجرد تخيل مثل هذه الهيئة التي يحشر عليها أهل الضلال تثير الرعب في النفس؛ لما يلقونه من إذلال. فالوجوه تسحب على الأرض، والأعين قد عميت، والآذان قد صمت، والألسن أخرست. إنها غاية الإذلال والقهر. وقد وظف القرآن الإشارات الجسمية سالفة الذكر لما لها من وقع في نفس المتلقي، وما لها من قدرة على تشخيص حالة الذل والهوان.

ومن صور إذلال الكفار و إهانتهم يوم القيامة أيضا ما جاء في قوله تعالى:﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**[60]﴾ قال الشوكاني: « الجِثِي جمع جاثٍ من قولهم جثا على ركبتيه يجثو جثوا... أي جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب »[61]

إن منظر الجاثي على ركبتيه يدل على استسلامه، ووقوعه ذليلا بين يدي غريمه. وفي الآية أن هؤلاء المجرمين سوف يحشرون مع الشياطين، جاثين على ركبهم أذلاء صاغرين. وهذه الهيئة تستدعي في الذهن معاني الذل والصغار، وفقد الإرادة والائتمار بأمر مالك زمام الأمر. وهذه هيئة من وقع في شراك عدوه.

وقد جاء معنى الإذلال مصرح به في القرآن الكريم في قوله تعالى متوعدا الكفار والمشركين: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**[62]﴾ قال ابن منظور:« دخر الرجل يدخر دخورا فهو داخر، ودَخِرَ دَخَراً ذل وصغر. يصغر صغارا وهو الذي يفعل ما أمر به شاء أم أبى صاغرا قميئا. »[63]

ثانيا ـ هيئة الخوف

تعتري الإنسان عدة حالات داخلية فتنعكس على مظهره الخارجي، و تكون أكثر وضوحا كلما كان التأثر الداخلي أكثر وقد يشتد ذلك الشعور فيعم أثره جميع البدن، فلا تبقى بقعة في جسد الإنسان إلا و قد نالها من التأثرما يخرجها عن مألوف حالها. و الخوف شعور يعتري الإنسان، فتظهر علاماته على جسمه، و يكون ظهورها على قدر التأثر و الخطر الداهم، و قد يعظم الخوف في نفس الإنسان حتى يبدو ذلك على ظاهره. و قد شبه القرآن الكريم شدة الخوف و عمومه لجسم الخائف بالثوب السابع لجميع البدن. و في هذا المعنى يقول الله تبارك و تعالى:﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**[64]﴾ قال الشوكاني: « لباس الخوف و الجوع، سمي لباسا لأنه يظهر به عليهم من الهزال، و شحوبة اللون، و سوء الحال ما هو كاللباس. فاستعير له اسمه و أوقع عليه الإذاقة [...] و قد أجاب العلماء أن هذا من تجريد الاستعارة. وذلك أنه استعار اللباس لما غشي الإنسان من بعض الحوادث، كالجوع و الخوف؛ لاشتماله عليه اشتمال الثوب على اللابس.» [65]

لقد كانت عاقبة الكفر بأنعم الله أن سلط الله عليهم الجوع و الخوف، وكلاهما يغير حالة الجسم من النضارة إلى الشحوب و الاصفرار. فالخائف يعرف من خلال ما يبدو عليه من أمارات تشي بخوفه. وقد وصف الله شدة هذا الخوف و الجوع ليعلم الإنسان شدتهما، و لو قال أصابهم الخوف لما كان لهذه الصورة كل هذا الوضوح.

و قد يأخذ الخوف شكلا آخر، أو علامات تدل عليه مثل التخفي و عدم الظهور بين الملأ؛ لما يحذر الإنسان من عدوه. و من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**[66]﴾ « و كان موسى قد بدت منه مجاهرة لفرعون و قومه بما يكرهون، فاختفى و خاف ؛ فدخلها متنكرا حذرا متغفّلا للناس.» [67]

في هذه الآية اتخذ الخوف شكلا غير الذي اتخذه في سائر الآيات، فظهور الإنسان دليل على اطمئنانه، و تخفيه علامة على خوفه و حذره ـ إن دل السياق على ذلك ـ لأن ليس كل متخف هو خائف بالضرورة.

ثالثا ـ هيئة الاحتضار:

الاحتضار معالجة سكرات الموت، إذ أن الإنسان في هذه اللحظات تغشى جسده آلام إخراج الروح ، فيتغير لونه ويشحب وجهه و يصفر، و هي هيئة تثير الرعب في النفس قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** [68]﴾

تصور الآية هيئة المحتضر من الكفار، وقد غمرته الموت من أخمص قدمه حتى شعر رأسه، فيذهل و يذبل. وإنّ هيئة المحتضر لتنم عن مدى ما يعانيه، وعظيم ما يلاقيه. وهي

هيئة لا تماثلها هيئة أخرى مهما بلغ تأثر الانسان بها. قال الامام الطبري: «قال أبوجعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: ولوترى يامحمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمينا لعادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: " **ماأنزل اللّه على بشر من شيء** "،والمفترين على اللّه كذبًا، الزاعمين أن اللّه أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: " **سأنزل مثل ما أنزل اللّه** "، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر اللّه، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطوا أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم[69]»

لقد دلت هيئات أجسامهم عن عظيم ما يكابدونه حال نزول سكرات الموت بهم، فقد أخرست الألسن عن الكلام، ونطقت الهيئات مخبرة بالحال. وقد دعا المولى إلى تأمل حالهم اعتبارا، فموعظة العين أبلغ من موعظة الأذن

رابعا ـ هيئة الجثو:

ورد معنى الجثو في لسان العرب« جثا يجثو و يجثي، الجثو الجلوس على الركبتين للخصومة ونحوها.» [70]

إن هذا الجلوس موح بالجد لأن الذي يدخل الخصومة يكون قد شحذ حججه، و هيأ من القول ما يثبت صدق كلامه. و تكون هذه هيئة الخلائق يوم القيامة، لأن الموقف موقف محاكمة يدلي فيها الجاثي بما قدم في الدنيا. قال تعالى: **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** [71]**﴾**

قال الشوكاني: « معنى جاثية مستوفزة، والمستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه و أطراف أنامله، و ذلك عند الحساب [...] وقال الحسن: باركة على الركب. والجثو الجلوس على الركب » [72]

إن هيئة الجثو على الركبتين توحي في مألوف العرب على الجلوس للخصومة ـــ كما أشار إلى ذلك ابن منظور ـــ لكنها في هذا المقام جلسة من يوقن بأنه لا يظلم، و أن النتيجة معلومة سلفا، لأن خصمه عادل لا يظلم، قادر لا يُقهر. فلا خصومة إذن، بل إقرار بما كان. فهي هيئة المتهم الذي أيقن بثبوت الجرم، فلا حجة له.

خامسا ـ هيئة الضعف

إن الإنسان قد يلم به المرض فيضعف بدنه، أو يتقدم به السن فيهزل و تضعف قواه. ولهذه الحالة ما يدل عليها من ظاهر الإنسان. فسنه أو حالته الصحية تبدوان على ظاهر بدنه منها: انحناء الظهر، و شيب الشعر، والاعتماد على العكاز. و قد وصف نبي اللّه زكرياء حاله فقال: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**[73]**﴾** فقد دلل زكريا عليه السلام على ضعفه بما ظهر على بدنه من ضعف عظم، و شيب رأس. قال الزمخشري: « و إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن، و به قوامه، وهو أصل بنائه. فإذا وهن تداعى، و تساقطت

قوته، ولأنه أشد ما فيه و أصلبه. فإذا وهن كان من وراءه أوهن [...] شبه الشيب بشواظ النار في بياضه، و إنارته، وانتشاره في الشعر، و فشوه فيه، و أخذ منه كل مأخذ.» [74]

إنه الضعف يرتسم على البدن فتكون هيئة واشية برحيل الشباب، آذنة بالعجز و زوال القوة. قال تعالى:﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** [75]﴾

سادسا ـ هيئة التصليب:

إن الاعتداء على الغير يوجب العقوبة. وتختلف العقوبة باختلاف جسام الذنب، فأقل العقوبة التأنيب، وأشدها التصليب. وقد حكم القرآن على المحاربين الذين يقطعون الطرق ـ فيزهقون الأرواح، ويأخذون الأموال ـــ بالتصليب قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ** [76]﴾ قال الشوكاني: « (أو يصلبوا) ظاهره أنهم يصلبون أحياء حتى يموتوا، لأنه أحد الأنواع التي خير الله بينها [...] (أو تقطع أيديهم أو أرجلهم من خلاف) ظاهره قطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين من خلاف، سواء كانت اليد المقطوعة هي اليمنى أو اليسرى.» [77]

إن شناعة هذه العقوبة تتلاءم و شناعة الجريمة، و قد جاءت هذه العقوبة ليعتبر الناس. فرؤية المصلوب توحي بشنيع الجرم، و رؤية الذي قطعت يده و رجله من خلاف تومئ إلى أن هذا الشخص قد ارتكب جرم الحرابة، و قد وقعت عليه العقوبة.

يسوق القرآن تصويزاً لهيئات جسمية مختلفة منها ما ينم عن سلوك محمود رغب فيه القرآن، ومنها ما يشي بسلوكات مرذولة ذمها. وفي كل ما سبق من هيئات لم يقل صاحب الهيئة بلسانه شيئاً بل لسان الحال فيها أبلغ من المقال. فالصور التي سبق وأن ذكرناها ناطقة من غير لسان مبينة عن معان واضحة تعجز اللغة المنطوقة عن الاحاطة بها وتبليغها في الوضوح الذي تبلغه تلك الهيئات، وقد وظفها القرآن لبيان الحالة التي يرمي إليها فتبدو في أجلى صورها وأبلغ معانيها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،1993 ط 1،. ، ج 6
- (الشـــوكاني (محمد بن علي بن محمد)، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيرو ت لبنان
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة الطبعة الأولى، 2001 ج 2
- . البخاري محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، دار ابن الجوزي،الطبعة الأولى،القاهرة،
- سيد قطب، الضلال، ج 5
- ابن منظور (محمد بن مكرم)، لســـان العرب، مرفق بحواشـــي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر بيروت، ط 1 (د ت).
- الكميت بن زيد الأسدي، ديوانه، جمع وشرح وتحقيق نبيل طريفي، دارصادر بيروت، ط 1، 2000
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ.
- الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، دار سحنون، تونس (د ط)،1997، ج15
الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير) ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد

الإحالات :

(1) سورة الإسراء، الآية 107 . 109

(2). سورة مريم، الآية 58

(3) . أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،1993 ط 1،. ، ج 6، ص: 75

(4) . البخاري محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، دار ابن الجوزي،الطبعة الأولى،القاهرة، 2010. حديث رقم 812، ص: 104

(5) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيرو ت لبنان، ص: 846

(6) . سورة يوسف، الآية 100

(7) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة الطبعة الأولى، 2001 ج 2، ص: 490

(8) – سورة الفرقان، الآية 60

(9) – أبو حيان، مصدر سابق، ج 6، ص: 466

(10) – سيد قطب، الضلال، ج 5، ص: 2575

(11). سورة الزمر، الآية 09

(12). سيد قطب، الظلال، ج 5، ص: 3042

(13). سورة الزمر، الآية 23

(14). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 1281

(15). سيد قطب، الظلال، ج 5، ص: 3048

(16) ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، مرفق بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر بيروت، ط 1 (د ت). مادة (لها)، ج 15، ص: 258

(17). سورة النجم، الآية 59 . 61

(18). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 1425

(19). سورة الحجر، الآية 88

* سورة الإسراء، الآية 24

**الكميت بن زيد الأسدي، ديوانه، جمع وشرح وتحقيق نبيل طريفي، دارصادر بيروت، ط 1، 2000،ص: 515

(20). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 769

(21). سورة آل عمران، الآية 159

(22). سورة الإسراء، الآية 37

(23). سيد قطب، الظلال، ج 5، ص: 2228

(24). سورة الإسراء، الآية 83

(25) الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ.ج2، ص: 690

(26). سورة الكهف، الآية 14

(27) الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، دار سحنون، تونس (د ط)،1997، ج15، ص: 29

(28). سورة الأنعام، الآية 27

(29). الزمخشري، مصدر سابق، ج 2، ص: 15

(30). سورة الزمر، الآية 68

(31). ابن منظور، مصدر سابق، مادة (قعد)، ج 3، ص: 357

(32). سورة آل عمران، الآية 191

(33). أبو حيان، مصدر سابق، ج 3، ص: 145

(34). سورة التوبة، الآية 90

(35). سيد قطب، الظلال، ج 3، ص : 1685

(36). سورة المائدة، الآية 24

(37). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 364

(38). أبو حيان، مصدر سابق، ج 3، ص : 471

(39). سورة النساء، الآية 140

(40). سيد قطب، الظلال، ج 1، ص: 278

* ورد ذكر القعود في عدة آيات غير التي ذكرنا منها: (الآية 168 سورة آل عمران، الآية 95 سورة النساء، الآية 16 / 86 من سورة الأعراف،الآية 68 سورةالأنعام،الآية 05 / 46 / 83 / 86،الآية 09 سورةالإسراء،الآية 12 سورة يونس،الآية09 سورة الجن،الآية 06 سورة الروم

(41). ابن منظور، مصدر سابق، مادة (ضجع)، ج 8، ص: 218

(42). سورة يونس، الآية 12

(43). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 614

(44). سورة الكهف، الآية 31

(45). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 858

* وذكر الاتكاء بهذا المعنى في آيات أخرى (سورة ص الآية 51، سورة الطور الآية 20، سورة الرحمن الآية 54 و 76، سورة الواقعة الآية 16، سورة الإنسان الآية 13

(46). سورة الأعراف، الآية 26

(47). سورة الحج، الآية 23

(48). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 858

(49). سورة الأعراف، الآية 31

(50). الزمخشري، مصدر سابق، ج 2، ص: 100

(51). سورة النور، الآية 31
(52). سيد قطب، الظلال، ج 4، ص: 2511
(53). سورة القصص، الآية 79
(54). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 1110
(55). سورة النساء، الآية 142
(56). سورة التوبة، الآية 54
(57). سيد قطب، الظلال، ج 2، ص: 784
(58). سورة الإسراء، الآية 97
(59). سيد قطب، الظلال، ج 4، ص: 2251
(60). سورة مريم، الآية 68
(61). الشوكاني، فتح القدير، ص: 895
(62). سورة غافر، الآية 60
(63). ابن منظور مادة (دخر)، ج 4، ص: 278
(64). سورة النحل الآية 112
(65). الشوكاني، فتح القدير، ص: 805
(66). سورة القصص، الآية 18
(67). أبو حيان، مصدر سابق، ج 7، ص: 104
(68). سورة الأنعام، الآية 93
(69). الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير) ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000.ج11، ص:537

(70). ابن منظور، مصدر سابق، مادة (جثا)، ج 14، ص: 131
(71). سورة الجاثية، الآية 28
(72). الشوكاني، فتح القدير، ص: 1359
(73). سورة مريم، الآية 04
(74). الزمخشري، مصدر سابق، ج 3، ص: 4
(75). سورة الروم، الآية 54
(76). سورة المائدة، الآية 33
(77). الشوكاني، مصدر سابق، ص: 369